

المعجزة العلمية فى القرآن والسنة

الشيخ عبدالمجيد الزندانى

ماهو الاعجاز العلمى ؟

يعرف الاعجاز بأنه : اظهار صدق الرسل - عليهم الصلاة والسلام -
 باظهار أمور على أيديهم يعجز البشر عن معارضتها.
 ويعرف العلم بأنه : ادراك الأمور على حقائقها .
 ويمكننا اذن أن نعرف الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بأنه :
 ,, اظهار صدق الرسول-محمد صلى الله عليه وسلم-بما حمله
 الوحي اليه من علم الهى ثبت تحققه، ويعجز البشر عن نسبته الى
 محمد صلى الله عليه وسلم أو الى أى مصدر بشرى فى عصره .
 لكل رسول معجزة تناسب قومه ومدة رسالته:

ولما كان الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم يعيشون الى
 أقوامهم خاصة، ولأزمة محدودة فقد أيدهم الله بينات حسية مثل :
 عصا موسى عليه السلام ، واحياء الموتى باذن الله على يد عيسى عليه
 السلام، وتستمر هذه بينات الحسية محتفظة بقوة اقناعها فى الزمن
 المحدد لرسالة كل رسول، فاذا حرف الناس دين الله بعث الله رسولا
 آخر بالدين الذى يرضاه ، وبمعجزة جديدة، وبينه مشاهدة .
 المعجزة العلمية تناسب الرسالة الخاتمة والمستويات البشرية
 المختلفة :

ولما ختم الله النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ضمن له حفظ دينه،
 وأيده بينة كبرى تبقى بين أيدي الناس الى قيام الساعة، قال تعالى،

« قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى التى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » (١)

وقال تعالى : « لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه » (٢) .

وفى هذه الآية التى نزلت ردا على تكذيب الكافرين بنبوة محمد (٣) صلى الله عليه وسلم بيان لطبيعة المعجزة العلمية التى تبقى بين يدى الناس ، وتتجدد مع كل فتح بشرى فى آفاق العلوم والمعارف ذات الصلة بمعانى الوحي الالهى .

قال الخازن عند تفسير هذه الآية:

«لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذى أنزله عليك » (٤) .

وقال ابن كثير :

«فالله يشهد لك بأنك رسوله الذى أنزل عليه الكتاب، وهو القرآن العظيم ... ولهذا قال : أنزله بعلمه: أى فيه علمه الذى أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضى والمستقبل» (٥) .
وقال الامام أبو العباس ابن تيمية:

«فان شهادته بما أنزل اليه هى شهادته بأن الله أنزله منه، وأنه أنزله بعلمه، فما فيه من الخبر هو خبر عن علم الله ليس خبرا عن دونه وهذا كقوله : « فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله » .
وليس معنى مجرد كونه أنزله أنه معلوم له فان جميع الأشياء معلومة له، وليس فى ذلك ما يدل على أنها حق ، لكن المعنى : أنزله فيه علمه، كما يقال : فلان يتكلم بعلم ، فهو سبحانه أنزله بعلمه كما قال : « قل انزله الذى يعلم السرّ فى السماوات والأرض » (٦) .

والى هذا المعنى ذهب كثير من المفسرين (٧) .

وهكذا تسطع بينة الوحي المنزّل على محمد-صلى الله عليه وسلم- بما نزل فيه من علم إلهى يدركه الناس فى كل زمان ومكان ويتجدد

على مر العصور، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :
 ,,ما من الأنبياء نبي الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر،
 وانما كان الذى أوتيته وحيا أو حاه الله اليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا
 يوم القيامة،، (٨) .

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث :

,, ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة ، وخرقة للعادة فى
 أسلوبه وفى بلاغته واخباره بالمغيبات أفلا يمر عصر من الاعصار الا
 ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه ... فعمّ
 نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد ،، (٩) .

ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين :

وبينة القرآن العلمية يدركها العربى والأعجمى، وتبقى ظاهرة
 متجددة الى قيام الساعة .

ففى القرآن أنباء نعرف المقصود منها لأنها بلسان عربى مبين،
 لكن حقائقها ، وكيفياتها لاتتجلى الا بعد حين .

قال تعالى : ,, ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين ،، (١٠) .

قال الفراء فى تفسير الحين الذى ذكرته الآية أنه :

,, بعد الموت وقبله أى لتظهر لكم حقيقة ما أقول (بعد حين) :

هو أى فى المستأنف ،، (١١) .

وذهب اسماعيل بن عبدالرحمن السدى الى هذا المعنى (١٢) .

وقال ابن جرير الطبرى بعد ذكر الأقوال المتعددة فى تفسير الحين

الذى ذكرته الآية :

,, و أولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : أن الله أعلم

المشركين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حد منه
 لذلك الحين بحد، ولا حد عند العرب للحين لايجاوز ولا يقصر عنه
 فاذا كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من

غير حصر ذلك على وقت دون وقت « (١٣) .

لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون :

وشاء الله أن يجعل لكل نبأ زماناً خاصاً يتحقق فيه ، فإذا تجلّى الحدث ماثلاً للعيان أشرقت المعاني التي حملتها الحروف والألفاظ في القرآن، وتتجدد المعجزة العلمية عبر الزمان ، والى هذا الزمن المحدد لكل نبأ أشار القرآن في قوله تعالى : ,, لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون « (١٤) .

وقال ابن جرير الطبري :

,, لكل نبأ مستقر يقول : لكل خبر مستقر يعني قرار يستقر عنده ونهاية ينتهي إليه فيتبين حقه وصدقه من كذبه وباطله وسوف تعلمون . يقول : وسوف تعلمون أيها المكذبون بصحة ما أخبر به « (١٥) . وقال ابن كثير :

,, وقال ابن عباس وغير واحد : أي لكل نبأ حقيقة أي لكل خبر وقوع ولو بعد حين كما قال تعالى : ,, ولتعلمن نبأه بعد حين.. « وقال : ,, لكل أجل كتاب « (١٦) .

والى هذا ذهب كثير من المفسرين (١٧) .

أنباء الأرض والسماء في القرآن والسنة تتجلّى في عصر الاكتشافات :

وان خير القرآن والسنة وما فيهما من أوصاف لما في الأرض والسماء هو نبأ الهى عما في الأرض والسماء ممن هو أعلم بما خلق فيهما من أسرار .

قال تعالى : ,, قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض « (١٨) فالخبر بما في الأرض والسماء نبأ عما في الأرض والسماء .

ولقد زخر القرآن والسنة بأنباء الكون وأسواره ، وتفجرت في

عصرنا علوم الانسان باكتشافاته المتتالية لآفاق الأرض والسماء،
فحان الحين لرؤية حقائق العلم الذى نزل به الوحي فى القرآن والسنة.
حتى يتبين لهم أنه الحق (١٩) :

ولقد قبلت البشرية اليوم العلم طريقا الى معرفة الحق، بعد أن
كبلت طويلا بأغلال التقليد الأعمى فشيدت للعلم البناء، وفرغت
لخدمته العلماء ، ورصدت له الأموال ، وما أن وقفت العلوم التجريبية
على قدميها الا وبدأت فى تأدية دورها الذى حدد الله لها فى جعلها
طريقا الى الايمان به ، وشاهدا على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولقد نزل القرآن فى عصر انتشار الجهل وشيوع الخرافة
والكهانة والسحر والتنجيم فى العالم كله، وكان للعرب النصيب الأوفى
من هذه الجاهلية والأمية كما بين القرآن ذلك بقوله :

، هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين»، (٢٠)

لقد نزل القرآن على قوم استماتوا فى الصد عنه دفاعا عن
أصنامهم التى كانوا عليها عاكفين، وتعلقا بما آمنوا به من خرافات
السحر والكهانة والتنجيم ، وأوهام الأزلام والتشاؤم من بعض الشهور،
ومن مرور بعض أنواع الحيوان ، وجادلوا عن ضلالتهم فى طلب
الحماية من ملوك الجان فى الشعاب والوديان .

وهذا مثل من الضلال الفكرى الذى كان عليه العرب عند

نزول القرآن .

وأما من جهة المستوى العلمى الذى كانوا عليه فيشرحه الرسول

صلى الله عليه وسلم - بقوله: ، نحن أمة أمية لانكتب ولا نحسب»، (٢١).

وبعد أن حثهم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على القراءة والكتابة والعلم والحساب لم يجدوا أمامهم من أدوات الكتابة الا الجلود والأحجار الرقيقة وعسب النخل وعليها كانوا يكتبون (٢٢) .
وفى ذلك العصر وعلى تلك الأمة نزل الوحي وفيه علم الله يصف اسرار الخلق فى شتى الآفاق ، ويجلى دقائق الخلق فى النفس البشرية، يقرر البداية، ويصف أسرار الحاضر، ويكشف غيب المستقبل الذى ستكون عليه سائر المخلوقات .

وعندما دخل الانسان فى عصر الاكتشافات العلمية وامتلک أدقّ الأجهزة للبحث العلمى ، وتمكن من حشد الجيوش من الباحثين فى شتى الآفاق، وجمعهم فى ميادينه على اختلاف الأجناس يبحثون عن الأسرار المحجوبة فى آفاق الأرض والسماء وفى مجالات النفس البشرية، يجمعون المقدمات ويرصدون النتائج فى رحلة طويلة عبر القرون فاذا ما تكاملت الصورة، وتجلت الحقيقة وقعت المفاجأة الكبرى بتجلى أنوار الوحي الالهى الذى نزل على محمد-صلى الله عليه وسلم-قبل ألف و أربعمائة عام يذكر تلك الحقيقة فى آية من القرآن أو بعض آية ، أو فى حديث لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-أو بعض حديث بدقة علمية معجزة ، وعبارات مشرقة وبهذا أنبأنا القرآن .
قال تعالى : ,, قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد، سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد « (٢٣) .
فهيا لتندبر بعض معانى هذا النص القرآنى :

لقد ورد الافق فى اللغة بمعنى ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض و آفاق السماء:نواحيها (٢٤)، وآيات الله فى آفاق الأرض والسماء تحمل معانى ثلاثة :
الأول : المخلوقات التى خلقها الله فى شتى آفاق الأرض

والسمااء مثل قوله تعالى : ,, ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بثّ
فيهما من دابة ,, (٢٥) .

الثانى : آيات القرآن التى تخبر وتصف أنواع المخلوقات ، وهى
آيات كثيرة .

الثالث : البيئات والمعجزات التى يظهرها الله تصديقا لرسوله-صلى
الله عليه وسلم- فى شتى آفاق الأرض والسمااء برؤية مصادقها من
حقائق الخلق حيننا بعد حين .
قال الشوكانى :

,, سنريهم آياتنا فى الآفاق,, : سنريهم صدق دلالات صدق
القرآن وعلامة كونه من عند الله فى الآفاق وفى أنفسهم,
والمعنى : ,,سنريهم آياتنا فى النواحي وفى أنفسهم ,, (٢٦) .
وقال ابن كثير :

,,سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم,, : ,,أى سنظهر لهم دلالاتنا
وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله على رسول الله-صلى
الله عليه وسلم- بدلائل خارجية فى الآفاق ,, (٢٧) .
وقال الزمخشري :

,, ومعناه أن هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى
أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم
الغيب الذى هو على كل شىء شهيد، أى مطلع ومهيمن يستوى عنده
غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ,, (٢٨) .

بهذا قال كثير من المفسرين (٢٩) عند تفسير قوله تعالى :

,,حتى يتبين لهم أنه الحق ,, .

وقال أبو العباس بن تيمية :

,, وأما الطريق العيانى فهو أن يرى العباد من الآيات الأفقية
والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذى بلغته الرسل عن الله حق كما

قال تعالى : «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد» أى:،، أو لم يكف بشهادته المخبرة بما فى علمه، وهو الوحي الذى أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم- فان الله على كل شىء شهيد وعليم به ،، (٢٩) .

ولقد قرر عطاء وابن زيد أن معنى الآفاق المذكورة فى الآية هو ما نقله عنهما القرطبي فى تفسيره .

وقال عطاء وابن زيد أيضا : ،، فى الآفاق يعنى أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها ،، (٣٠) . وروى هذا عنهما عدد من أئمة التفسير (٣١) . وفى الجلالين :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق ،،: أقطار السماوات والأرض من النيران والنبات والأشجار ،،»

« وفى انفسهم ،،: «من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ،، (٣٢) . فهذه آيات الله فى كتابه تتحدث عن آياته فى مخلوقاته، وتتجلى بمعجزة علمية بينة تسطع فى عصر الكشوف العلمية فى آفاق الكون . اللقاء حتمى والمعجزة واقعة :

اننا على وعد من الله عزوجل بأن يرينا آياته ، فيتحقق لنا - بهذه الرؤية - العلم الدقيق بمعانى هذه الآيات ، قال تعالى : ،، وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ،، (٣٣) .

ومخلوقاته من آياته ، ومنها ما جاء فى القرآن وصفا ونبأ عن آياته فى السماوات والأرض .

وروى الطبرى عن ابن أبى نجيع وابن جريج عن مجاهد أنه قال فى تفسير هذه الآية :

«قوله : «سيريكم آياته فتعرفونها»، قال : «فى انفسكم والسماء والأرض والرزق ،، (٣٤) .

قال ابن كثير فى تفسير الآية :

« أى الحمد لله الذى لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه
والانذار اليه، ولهذا قال تعالى : « سيرىكم آياته فتعرفونها»، كما قال
تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه
الحق » (٣٥) .

وبمثل هذا قال القرطبي فى تفسيره (٣٦) والألوسى فى تفسيره (٣٧).

وقال أبو حيان فى البحر المحيط :

« سيرىكم آياته : تهديد لاعدائه بما يريهم الله من آياته التى
تضطرهم الى معرفتها والاقرار أنها آيات الله وقيل آياته فى
أنفسكم وسائر ما خلق مثل قوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى
أنفسهم» .

وقيل معجزات الرسول ، واطافها اليه لأنه هو مجريها على يدي

الرسول ومظهرها من جهته (٣٨) .

وبمثل ما قال أبو حيان قال البقاعى فى نظم الدرر .

ومما سبق يتبين لنا أن البشرية على موعد من الله متجدد
ومستمر بكشف آياته فى الكون وفى كتابه أمام الأبصار لتقوم الحجة
وتظهر المعجزة (٣٩) .

انه الوحي فى القرآن والسنة يفيض بالخبر عن أوصاف المخلوقات،
وهذه الأبحاث العلمية التحريبية تتجه بدراستها وبحثها الى نفس
الميدان الذى وصفه القرآن وتحدث عنه الرسول- صلى الله عليه وسلم-
فاللقاء حتمى والمعجزة لا شك واقعة .

لقد جاءت العلوم البشرية التجريبية شاهدة بصدق ما أخبر
به القرآن من تحريف سائر الأديان (٤٠) وجاءت شاهدة ومجلية لدقائق
المعانى فى الآيات والأحاديث النبوية ذات التعلق بالأمور الكونية وهذه
مناكب دعاة الاسلام على اختلاف تخصصاتهم العلمية تتزاحم لبيان

هذه المعجزات العلمية ، وبدأ عدد من كبار علماء الكون من غير المسلمين يتجهون الى نفس الميدان (٤١) فمنهم من أسلم (٤٢)، ومنهم من شهد بحقيقة المعجزة العلمية ، فحان حين تجلى معاني كثير من آيات القرآن الكونية، وعدد في نفس المجال من الأحاديث النبوية و ،، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون» .

وإذا كان النقص يعترى بعض الدراسات في مجال الاعجاز العلمي في القرآن والسنة فلا يصح أن يكون ذلك حكما على جميعها، وان هذا ليجب على القادرين من علماء الاسلام ان يسارعوا لخدمة القرآن والسنة في مجال العلوم الكونية ، كما خدمهما السلف في مجال اللغة والأصول والفقه وغيرها من مجالات العلوم الشرعية فنحن أمام معجزة علمية كبرى تنحني أمامها جباه المنصفين من قادة العلوم الكونية في عصرنا .

فلاعجاز العلمي ثمرة لذلك النوع من التفسير الذي يعلمه علماء المسلمين الذين يعلمون بأسرار المخلوقات كما أشارت هذه الآيات الكريمة :

» ان الله فلق الحَبِّ والنَّوَى يخرج الحيّ من الميت ومخرج الميت من الحيّ ذلكم الله فأنى تؤفكون فلق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون « (٤٣) .

يعلمون بآيات القرآن وآيات الأكوان، وهناك فرق بين التفسير العلمي والاعجاز العلمي .

الفرق بين التفسير العلمي والاعجاز العلمي :

فالتفسير العلمي : هو انتفاع المفسر بما ظهر في عصره من معلومات كونية في تفسير الآية أو شرح الحديث .

أما الاعجاز العلمي : فهو الحقيقة الكونية التي يؤول اليها معنى الآية أو الحديث ، ويشاهد الناس مصداقها في الكون فيستقر عندها التفسير ويعلم بها التأويل كما قال تعالى :، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ، (٤٤) .

وقد تتجلى مشاهد أخرى كونية عبر القرون تزيد المعنى المستقر وضوحا وعمقا، لأن الرسول- صلى الله عليه وسلم- قد أوتى جوامع الكلم (٤٥) فيزداد بها الاعجاز عمقا وشمولا، كما تزداد السنة الكونية وضوحا بكثرة شواهدا المندرجة تحت حكمها :

مصادر أبحاث الاعجاز العلمي :

ولما كانت أبحاث الاعجاز العلمي فرعا من فروع التفسير، وجزءا من شرح الحديث فهي تقوم على مصادر هذين العلمين ، ولما كانت قائمة على اظهار التوافق بين نصوص الوحي وبين ما كشف العلم التجريبي من حقائق الكون و أسراره فهي كذلك تقوم على مصادر العلوم التجريبية الى جانب العلم المتعلق بتاريخها .

قواعد أبحاث الاعجاز العلمي :

ولقد قامت هذه الأبحاث على قواعد نوجزها فيما يلي :

أ - علم الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتره خطأ ولا يشوبه نقص .وعلم الانسان محدود يقبل الازدياد ومعرض للخطأ .

ب - هناك نصوص من الوحي قطعية الدلالة ، كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية .

ج - وفي الوحي نصوص ظنية في دلالتها، وفي العلم نظريات ظنية في ثبوتها .

د - ولا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي، فان وقع في الظاهر فلا بد أن هناك خلافا في اعتبار قطعية أحدهما (٤٦) .

هـ - عندما يرى الله عباده آية من آياته فى الآفاق أو فى الأنفس
مصدقة لآية فى كتابه أو حديث من أحاديث رسوله-صلى الله عليه
وسلم- يتضح المعنى ويكتمل التوافق ، ويستقر التفسير وتتحدد
دلالات ألفاظ النصوص بما كشف من حقائق علمية وهذا هو
الاعجاز .

و- ان نصوص الوحي قد نزلت بألفاظ جامعة (٥٧) تحيط بكل المعانى
الصحيحة فى مواضيعها التى قد تتابع فى ظهورها جيلا بعد
جيل .

ز- اذا وقع التعارض بين دلالة قطعية للنص وبين نظرية علمية رفضت
هذه النظرية ، لأن النص وحي من الذى أحاط بكل شىء علما ،
واذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلا على صحة تلك النظرية
واذا كان النص ظنيا والحقيقة العلمية قطعية يؤول النص بها .
ح - واذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية وبين حديث ظنى فى
ثبوته يؤول الظنى من الحديث ليتفق مع الحقيقة القطعية ، وحيث
لا يوجد مجال للتوفيق يقدم القطعى .

أوجه الاعجاز العلمى :

ان معجزة القرآن العلمية تظهر لأهل العلم فى كل مجال من
مجالاته، فهى ظاهرة فى نظمه وفى اخباره عن الأولين ، وفى انبائه
بحوادث المستقبل وحكم التشريع وغيرها . ولقد شاع مصطلح الاعجاز
العلمى فى عصرنا للدلالة على أوجه اعجاز القرآن والسنة التى كشفت
عنها العلوم الكونية والطبية .

والمأمل فى أحوال العالم قبل نزول القرآن يرى التخلف الهائل
فى مجال العلوم الكونية، وكيف اختلطت المعارف الكونية للانسان
بالسحر والكهانة والأوهام حتى غلبت الخرافة وسادت الأساطير على
الفكر الانسانى .

ولقد انتظرت البشرية طويلا - بعد نزول القرآن - الى أن امتلكت من الوسائل العلمية ما يكشف لها أسرار الكون، و اذا بالذى يكتشفه الباحثون بعد طول بحث ودراسة يستخدم فيها أدق الأجهزة الحديثة يرى مقرا فى آية أو حديث قبل الف و أربعمائة عام وذلك فيما تعرض له الوحي من حقائق .

وما كان العرب الذين خوطبوا بهذا القرآن بحاجة الى هذه الأوصاف و الأنباء المستفيضة فيه وفى السنة عن الكون و أسرارها لاثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه الوحي المعجز الذى يحمل بينه صدقه معه لجميع البشر فى عصورهم المختلفة و أطوارهم المتباينة كما قال الامام أبو العباس بن تيمية فى وصف القرآن :

«وقد اجتمع فيه من الآيات ما لم يجتمع فى غيره فانه هو الدعوة والحجة ، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو البينة على الدعوى، وهو الشاهد والمشهود به » (٤٨) .

وتتمثل أوجه الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة فيما يلى :

- (١) - فى التوافق الدقيق بين ما فى نصوص الكتاب والسنة وبين ماكشفه علماء الكون (٤٩) من حقائق كونية و أسرار علمية لم يكن فى امكان بشر أن يعرفها وقت نزول القرآن .
- (٢) - تصحيح الكتاب والسنة لما شاع بين البشرية فى أجيالها المختلفة من أفكار باطلة حول أسرار الخلق (٥٠) لا يكون الا بعلم من أحاط بكل شىء علما
- (٣) - اذا جمعت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة وجدت بعضها يكمل البعض الآخر فتتجلى بها الحقيقة مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة فى الزمن وفى مواضعها من الكتاب الكريم وهذا لا يكون الا من عند الله الذى يعلم السرّ فى السماوات والأرض .

- (٤) - سن التشريعات الحكيمة التي تخفى حكمتها على الناس وقت نزول القرآن وتكشفها أبحاث العلماء فى شتى المجالات .
- (٥) - فى عدم الصدام بين نصوص الوحي القاطعة التى تصف الكون و أسراره على كثرتها وبين الحقائق العلمية المكتشفة على وفرتها مع وجود الصدام الكثير بين مايقوله علماء الكون من نظريات تتبدل مع تقدم الاكتشافات ووجود الصدام بين العلم وما قرره سائر الأديان المحرفة المبدلة .

وصدق الله القائل :

«وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبتطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون» (٥١) .

تنبيه :

كلامنا هنا محصور فى قضايا الاعجاز العلمى الذى تنكشف فيه النصوص عن معانى لكيفيات وتفاصيل جديدة عبر العصور، أما ما يتعلق بالعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق فقد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضح تفسيرها (٥٣) .

أبحاث الاعجاز العلمى فى ضوء منهج السلف وكلام المفسرين :

للسلف منهج سديد فى التعامل مع الأمور الغيبية التى جاء بها الوحي وخاصة فيما يتعلق بأمر الصفات الالهية وأحوال يوم القيامة ، ومالا سبيل اليه من غير طريق الوحي ويتمثل هذا المنهج فى الوقوف عندما دلت عليه النصوص بدون تكلف لمعرفة الكيفيات والتفاصيل

التي لم يبينها الوحي ، لأن البحث فيها بحث في الظلام وقسر لحقائق الوحي الكبرى في قالب تصورات ذهنية بشرية محدودة بحدود الحس والزمان والمكان .

وكلام الخالق سبحانه عن أسرار خلقه في الآفاق والأنفس غيب قبل أن يرينا الله حقائق تلك الأسرار ولا طريق لمعرفة كيفياتها وتفصيلها قبل رؤيتها الا ما سمعنا عن طريق الوحي، وكان السلف لا يتكلفون كشف ما لا علم لهم به .

ان معانى الآيات المتعلقة بالأمور الغيبية ودلالاتها اللغوية معلومة لكن الكيفيات والتفاصيل محجوبة، وان من وصف حقائق الوحي الكونية بدقائقها وتفصيلها بعد أن كشفها الله وجلاها للأعين غير من وصفها من خلال نص يسمع ولا يرى ، لأن وصف من سمع وشاهد غير من سمع فقط ، ومثلها كمثل اثنين استمعا وصفا لمكتبة كبيرة من صاحبها ، وكان بعضها مشاهدا وبعضها محجوبا بالستائر والظلام ، وكان احدهما لا يملك قدرة على ازاحة الستائر وتبديد الظلام فوصف ما حجب عنه في ضوء ما سمع وقياسا على ما رأى، وتمكن الثانى من كشف بعض الستائر وتبديد بعض الظلام، فرأى دقائق وتفصيل وكيفيات ما وصف له من قبل سماعا فجاءت المشاهدة متوافقة مع السماع .

ولقد وفق السلف الصالح من المفسرين كثيرا فى شرحهم لمعانى الآيات القرآنية رغم احتجاب حقائقها الكونية ، مع أن المفسر الذى يصف حقائق وكيفيات الآيات الكونية فى الآفاق والأنفس وهى محجوبة عن الرؤية فى عصره قياسا على ما يرى - من المخلوقات وفى ضوء ما سمع من الوحي يختلف عن المفسر الذى كشفت أمامه الآية الكونية فجمع بين ما سمع من الوحي وبين ما شاهد فى الواقع .

ونظرا لعدم خطورة ما يتقرر فى مجال الأمور الكونية على أمر العقيدة يوم ذاك لم يقف المفسرون بها عند حدود ما دلت عليه

النصوص ، بل حاولوا شرحها بما يسر الله لهم من الدراية التي تيسرت لهم فى عصورهم وبما فتح الله به عليهم من أفهام، وكانت تلك الجهود العظيمة التى بذلها المفسرون عبر القرون لشرح نصوص الوحي المتعلقة بالأمور الكونية التى لم تكشف فى عصرهم مبينة لمستوى ما وصل اليه الانسان من علم فى تلك المجالات ومبينة لمدى توفيق الله لهؤلاء المفسرين .

فاذا ما حان حين مشاهدة الحقيقة فى واقعها الكونى ظهر التوافق الجلى بين ما قرره الوحي وما شاهدته الأعين، وظهرت حدود المعارف الانسانية المقيدة بقيود الحس المحدود ، والعلم البشرى المحدود بالزمان والمكان ، وازداد الاعجاز تجليا وظهورا .

وما كتب الله التوفيق للمفسرين فيما شرحوه من آيات وأحاديث متعلقة بأسرار الكون وخفاياه الا بفضل اهتدائهم بنصوص الوحي المنزل ممن يعلم السر فى الأرض والسماء مهتدين بما علم لهم من دلالات الألفاظ و معانى الآيات .

سرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهور التوافق بين الوحي وبين الواقع :

روى مسلم فى صحيحه (٥٣) عن فاطمة بنت قيس قالت: ...، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال : ,, ليلزم كل انسان مصلاه، ثم قال : اتدرون لم جمعتمكم؟، قالوا : ,, الله و رسوله أعلم. . قال : ,, انى والله ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتمكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع و أسلم، وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ، ثم ذكر لهم خبر تميم الدارى ورحلته التى استغرقت أكثر من شهر فى البحر وجاءت موافقة لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل .

وكم يسر المؤمن في عصرنا وهو يشاهد حقائق الواقع والمشاهدات الكثيرة قد جاءت مصدقة لما جاء به الوحي قبل الف وأربعمائة عام .

أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها :

تحديد بينة الرسالة في عصر الكشوف العلمية:

إذا كان المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد شاهدوا بأعينهم كثيرا من المعجزات فان الله أرى أهل هذا العصر معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم تتناسب مع عصرهم ، ويتبين لهم بها أن القرآن حق، وتلك البينة المعجزة هي بينة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وأهل عصرنا لا يدعونون لشيء مثل اذعانهم للعلم وبياناته ودلائله على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وأديانهم ، وأبحاث الاعجاز كقيلة باذن الله بتقديم أوضح الحجج وأقوى البينات العلمية لمن أراد الحق من سائر الأجناس . وفي حجج هذه الأبحاث قوة في اليقين وزيادة في ايمان المؤمنين .

،، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ،، (٥٤) .

وظهور هذه البينات العلمية يسكب الثقة مرة ثانية في قلوب الذين فتنهم الكفار من المسلمين عن دينهم باسم العلم الذي قام عليه التقدم والحضارة .

تصحيح مسار العلم التجريبي في العالم :

لقد جعل الله النظر في المخلوقات الذي تقوم عليه العلوم التجريبية طريقا الى الايمان به، وطريقا الى الايمان برسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أهل الأديان المحرفة كذبوا حقائقه وسفهاوا طريقه، واضطهدوا دعواته فواجههم حملة هذه العلوم التجريبية باعلان الحرب على تلك الأديان فكشفوا ما فيها من أباطيل، وأصبحت البشرية في متاهة تبحث عن الدين الحق الذي يدعو الى العلم والعلم يدعو اليه .

ان بإمكان المسلمين أن يتقدموا لتصحيح مسار العلم فى العالم ووضعه فى مكانه الصحيح طريقا الى الايمان بالله ورسوله ومصداقا بما فى القرآن، ودليلا على الاسلام ، وشاهدا بتحريف غيره من الأديان . ان البشرية بحاجة الى الدين الحق لانقاذها مما حل بها من خواء فى الروح وضياع فى الشعور، وشقاء فى النفس ، بحاجة الى الدين الذى يجمع لها بين الدين والعلم ، والمادة والروح ، والنظام والخلق وسعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، ولكنها بحاجة الى دليل من العلم يثبت لها صحة الدين وفى هذه الأبحاث جواب .

ومما يبشر بإمكانية تحقيق هذا الهدف وجود قاعدة كبيرة من علماء الكون المنصفين، الذين لا يترددون فى اعلان ما يقتنعون به من الحق، وهم أهل الكلمة فى شعوبهم، ولا يستطيع المكابرون والجاحدون من أن يحجروا عليهم فى كثير من بلدان العالم فيما عدا البلاد الشيوعية التى جعلت الالحاد منهجا لها فى الحياة . ولكن وسائل الاعلام المعاصرة قد تكون سببا لابلاغ أهل تلك البلاد حقائق العلم والايمان، وربما فتح الله فيها مالا يتيسر فى غيرها .

تنشيط المسلمين للاكتشافات الكونية بدافع من الحوافز الايمانية :

ان التفكير فى مخلوقات الله عبادة، والتفكر فى معانى الآيات والأحاديث عبادة، وتقديمها للناس دعوة الى الله ، وهذا كله متحقق فى أبحاث الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة. وهذا من شأنه أن يحفز المسلمين الى اكتشاف أسرار الكون بدوافع ايمانية، لعلها تعبر بهم فترة التخلف التى عاشوها فترة من الزمن فى هذه المجالات .

وسيجد الباحثون المسلمون ، فى كلام الخالق عن أسرار مخلوقاته، أدلة تهديهم أثناء سيرهم فى أبحاثهم ، وتقرب لهم النتائج، وتوفر لهم الجهود .

واجب المسلمين :

وإذا علمنا أهمية هذه الأبحاث فى تقوية ايمان المؤمنين ، ودفع الفتن التى ألبسها الكفار ثوب العلم عن بلاد المسلمين ، وفى دعوة غير المسلمين وفى فهم ما خوطبنا به فى القرآن والسنة، وفى حفز المسلمين للأخذ بأسباب النهضة العلمية تبين من ذلك كله أن القيام بهذه الأبحاث من أهم فروض الكفايات . وصدق الله القائل :

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة» (٥٥) .

ميادين أبحاث الاعجاز العلمى :

ان كل موضوع تحدث عنه القرآن أو السنة ، فى أى مجال من مجالات العلم ، التى ظهرت حقيقتها ، والتى لا يمكن نسبة خبرها الذى جاء به الوحي الا الى الله هو ميدان من ميادين أبحاث الاعجاز العلمى ، ولكن هذا المصطلح يقصد به الاعجاز العلمى، الذى كشفت عنه العلوم الحديثة وميادينه على هذا المفهوم هى الميادين والمجالات الكونية التى جاء ذكرها أو الاشارة اليها فى القرآن والسنة وتمكن العلم البشرى من معرفة أسرارها، الى جانب الميادين التى يحتاجها الباحث لتفسير النصوص الشرعية تفسيراً صحيحاً لاشطط فيه مع معرفة بتاريخ العلوم وتقدمها تعينه على توضيح جوانب الاعجاز .

هوامش

- ١ - سورة الانعام : الآية : ١٩٠ .
- ٢ - سورة النساء ، الآية : ١٦٦ .
- ٣ - انظر سبب النزول : ابن الجوزى : ٢٥٧/٢ ، الطبرى : ٢٧٥ ، ابن كثير : ٥٩٠/١ ، الجلالين : ص ١٢٧ .
- ٤ - الخازن فى مجموعة من التفاسير : ٢١٠/٢ .
- ٥ - ابن كثير : ٥٦٠/١ .

- ٦ - الفتاوى : ١٩٦/١٤ .
- ٧ - ابن الجوزى : ٢٥٧/٢ ، الزمخشري : ٥٨٤/١ ، ابو حيان : ٣٩٩/٣ ، الآلوسى : ١٩٧٦ - ٢٠ .
الشوكانى : ١/٥٣٩ ، البيضاوى والنسفى والخازن فى كتاب مجموعة من التفاسير : ٢١٠/٢ .
الجلالين : ص ١٢٧ .
- ٨ - البخارى : فتح البارى : ١٣/٩ ، مسلم : كتاب الايمان .
- ٩ - فتح البارى لابن حجر : ٧/٩ .
- ١٠ - سورة ص : الآيتان ، ٨٧ - ٨٨ .
- ١١ - القرطبى : ٢٣١/١٥ .
- ١٢ - أبو حيان : ٤٨٢/٧ .
- ١٣ - الطبرى : ١٢١/٢٣ .
- ١٤ - سورة الأنعام : الآية : ٦٨ .
- ١٥ - الطبرى : ١٤٧/٧ .
- ١٦ - ابن كثير : ١٤٤/٢ .
- ١٧ - القرطبى : ١٧٧ ، الشوكانى : ١٢٨/٢ ، الرازى : ٢٥/٧ - ٢٦ ، القاسمى : ٥٧٥/٦ ، أبو السعود :
١٤٧/٣ ، البقاعى : ١٤٥/٧ - ١٤٦ .
- ١٨ - سورة يونس : الآية : ١٨ .
- ١٩ - سورة فصلت : الآية : ٥٣ .
- ٢٠ - سورة الجمعة : الآية : ٢ .
- ٢١ - رواه البخارى : كتاب الصوم ، مسلم : كتاب الصيام .
- ٢٢ - قال زيد بن ثابت عندما أمره أوبىكر الصديق أن يجمع القرآن بعد أن كثر الشهداء من حفظة القرآن : "فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال" (رواه البخارى - كتاب فضائل القرآن) . والعصب : جمع عسيب وجريد النخيل : واللخاف الحجارة الرقاق .
- ٢٣ - سورة فصلت : الآيتان : ٥٢ - ٥٣ .
- ٢٤ - انظر : مقاييس اللغة لابن فارس : ١١٤/٨ - ١١٥ ، لسان العرب : ٥/١٠ - ٦ ، الصحاح للجوهري :
١٤٤٦/٤ ، تاج العروس : ١/٢٧٩ ، المفردات للأصفهاني : ١٩ .
- ٢٥ - سورة الشورى : الآية : ٣٠ .
- ٢٦ - فتح القدير : ٥٢٣/٤ .
- ٢٧ - تفسير ابن كثير : ١٠٦/٤ .
- ٢٨ - الكشاف : ٤٥٨/٣ .
- ٢٩ - الفتاوى : ١٨٩/١٤ .
- ٣٠ - القرطبى : ٣٧٤/١٥ - ٣٧٥ .
- ٣١ - انظر : الطبرى : ٢٤/٢٥ ، أبو حيان : ٥٠٥/٧ ، الخازن فى مجموعة من التفاسير : ٣٩٥/٥ .
الشوكانى : ٥٢٣/٤ .
- ٣٢ - الجلالين : ٦٣٨ .
- ٣٣ - سورة النمل : الآية : ٩٤ .
- ٣٤ - الطبرى : ١٨٢/٠ .
- ٣٥ - ابن كثير : ٣٨٠/٣ .

- ٣٦ - القرطبي : ٢٤٦/٣٠ .
- ٣٧ - الألوسي : ٤٧/٢٠ .
- ٣٨ - أبو حيان : ١٠٣/٧ .
- ٣٩ - البقاعي : ٢٢٩/١٤ - ٢٣٠ .
- ٤٠ - انظر الكتاب الذي ألفه الطبيب الفرنسي المشهور الدكتور موريس بوكاي بعنوان : ,, التوراة والانجيل والقرآن في ضوء المعارف العلمية الحديثة,, واثبت فيه تحريف التوراة والانجيل وصدامهما مع العلم ، وسلامة القرآن من التحريف وسيد للعلوم الحديثة .
- ٤١ - انظر الأبحاث التي شارك فيها سبعة من كبار علماء الأجنة والتشريح وأمراض النساء من غير المسلمين في لجنة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة في القاعة الكبرى في المؤتمر الطبي السعودي الثامن المنعقد في الرياض في محرم عام ١٤٠٤ هـ .
- ٤٢ - مثل البروفيسور تاجاتان تاجاسن الذي أعلن اسلامه في قاعة المؤتمر الطبي السعودي الثامن في نهاية أبحاث الاعجاز العلمي .
- ٤٣ - الانصام : ٩٥ - ٩٧ .
- ٤٤ - الانصام : ٦٧ .
- ٤٥ - انظر فتح الباري : ٢٥٧/١٣ .
- ٤٦ - هذه قاعدة جليظة يقررها علماء المسلمين ، وألف أبو العباس ابن تيمية كتابا من أحد عشر مجلدا لييانها تحت عنوان : ,, دره تعارض العقل والنقل ,, .
- ٤٧ - قال صلى الله عليه وسلم : بعثت بجوامع الكلم ، (أخرجه البخارى في الجهاد ٤ ، ومسلم في المساجد برقم ٤٥٢٣ والترمذى في السير برقم ١٥٥٣) . وقال ابن حجر في الفتح ٢٥٧/١٣ :
«كان يتكلم بالقرول الموجز القليل اللفظ الكثير المعانى» ونقل عن البخارى قوله: بلغنى أن جوامع الكلم : أن الله عزوجل يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد أو الاثنين .
- ٤٨ - الفتاوى : ١٩٠/١٤ .
- ٤٩ - البروفيسور كيت ل . مور وهو من أشهر علماء العالم في علم الأجنة ، وكتابه في علم الأجنة مرجع عالمي مترجم الى سبع لغات، منها : الروسية واليابانية والألمانية والصينية . بعد اقتناعه بأبحاث الاعجاز العلمي، القى محاضرة في ثلاث كليات طبية في المملكة العربية السعودية بعنوان : مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة .
- ٥٠ - مثل ما كان شائعا بين علماء التشريح من أن الولد يتكون من دم الحيض واستمر ذلك الاعتقاد الى أن اكتشف المجهر في القرن السادس عشر الميلادى ، ونصوص القرآن والسنة تقرر أن الانسان يخلق من المنى ، وقد رد ابن القيم وابن حجر وغيرهما من علماء المسلمين أقوال علماء التشريح في عصورهم بنصوص الوحى .
- قال ابن حجر في الفتح : ٣٨٥/٨١ : وزعم كثير من أهل التشريح أن منى الرجل لا أثر له فى الولد الا فى عقده، وأنه انما يتكون من دم الحيض وأحاديث الباب تبطل ذلك مثل ما كشفه العلم حديثا من حكم فى تحريم أكل لحم الخنزير .
- ٥١ - سورة العنكبوت : الآيات : ٤٨ - ٥٢ .
- ٥٢ - التفسير والمفسرون للذهبي : ٣٤/١ .

- ٥٣ - صحيح مسلم - كتاب الفتن وأشرط الساعة - باب قصة الجساسة - حديث رقم ١١٩ - (٢٩٤٢) .
- ٥٤ - سورة الانفال : الآية : ٢ .
- ٥٥ - سورة البينة : الآية : ١ .

